من نَفَخَ الصورة

حلمي صابر ربيع الآخر **1444**هـ



أرسلَ لي صاحبٌ رسمةً وقال لم تعجبه الرسمة : لا جمالَ ولا شجرَ ولا خُضرة
هذا باختصار كان رأيه .
لكنني تأملتُ الرسمةَ ، وتساءلتُ لأفهمَ الفكرةَ
من نفخَ عقلَ المرأة ؟
ما الذي نفخته المرأة ؟
هل لنفخ الرجل كرتهُ ؟
لماذا هي آلة يحركها الرجلُ ؟!
الرجل ملتحٍ ؟! ماذا قُصِد باللحية ؟
هل المرأة ملتحية أم بغيرِ لحية ؟ هل المرأةُ رجلٌ
هل كانت أنثى أم كانت مترجلةً ؟ هل الرجل متأنثٌ ؟
هل الرسامُ عربي أم أوروبي ؟ ألبسَ الرسامُ الرجلَ ثوبا عربيا
إن كان الرسامُ أوروبيا ، فالأمر مفهوم
لكن إن كان عربيا ، فموقفه من الملتحِ فهِمته !.

تساءلتُ : ما هذا النصُ الذي بجانبِ آطارِ الصورة
هل الجانب الأول ، ثرثرة رجلٍ
وجواره جهة المرأة ، ترديدٌ منفوخٌ ؟ أمْ كلاهما يردد نصا ؟ ما مشكلةُ الفنانِ مع النَّصِ ؟

الجواب: مفتوحٌ ، لأنه خيالٌ
فسأكتبُ لكَ ما تخيلته . إنْ أبحتَ للرسَّامِ فعلهُ
فلا أظنكَ بلائمي على ما تصورتَه. هو خيالي ، ولن ألبسَ الفنانَ بنطالي ، ولن أميكنَهُ

أقولُ : المرأةُ في الرسمة تأثرتْ بكلام الرجل ،
يحركها كيفما شاء فألبسها عباءةً
وقالت قولهُ ونفخت نفخهُ
وصارت آلةً ولعبةً يحركها كيفما شاءَ فصارت إرادتها إرادته
هل الرجلُ في الرسمةِ ، سلبَ حقوقها ؟ هل خدعها ؟
أكانت المرأة بلهاءَ نخدعها ملتحٍ !
وغير الملتح لا يخدعها ! هل كان هذا للرسامِ قصدهُ ؟
هل عنّونَ الفنانُ رسمته : امرأةٌ بحقوقٍ مسروقة !

يا فنانُ: أنت أيضا برسمتك تنفخُ
لماذا تحركني كآلةٍ
كيف عِبتَ ما فعلتهُ
كيف فعلتَ التأثيرَ الذي عتبتَه !

ثمةَ أشياء أخرى في الرسمة ، ليس من اللائقِ والأدبِ الحديثُ عنه

كيف منعتَ التأثيرَ ،
ولنفسكَ أبحتَه ؟!.

سأحدثكَ عن لعبةِ المعايير :
لنتصور أمًّا ملحدةً وولدا ملحدًا
وبنتا ملحدةً وأبا ملحدا
ماذا يحدثُ بينهم من علاقات ؟
لا يتصورها عقلك !
علاقات فردية وثنائية وجماعية

وكل شخص مع الآخر في كل الفتحاتِ والاتجاهات
كل شخصٍ يصيرُ له عشرات العلاقات الجنسية
حتى هذا ، الحيوانُ لا يفعله
لا صوابَ ولا خطأ . المعاييرُ في فوضى
هذا الذي قصدته بفوضى المعايير
وقِسْ عليهِ في كل صواب وخطأ .

فلا يوجدُ معيارٌ بشري ثابتٌ نحتكم إليه سوى فوضى المعايير .
فلماذا الملتحي مخطئٌ ، وأنتَ أصبتَ !
كيف يا فنان بلا معايير ، للمعايير صيرتَّ !

إذا صار المعيارُ البشري
بلا معيارٍ رباني ، وبلا دينٍ صحيحٍ وبلا تحريف
انتبه: لا من دينٍ مُلَفَّق
لأنَّ الدينُ الملفق ، أيضا هو نظامٌ بشري
بشرٌ وضعوا لأنفسهم قداسة
خدعَ البشر ، وكَذَبَهم
قال : اعبدوا الربَّ ، ولكنه في حقيقة الأمر خدعهم
واقعهُ وحالهُ : اعبدوني لقداستي حيا وميتا ؛ جعلَ نفسه ربا
ادعوني ولو كنت ترابا ، سأجيبكم .
يا هذا : صِرتَ ترابا ! . أم أنَّ ترابك يسمعُ ، وهل إذا سَمِع ترابكَ ، سيفعلُ ؟!
ومن اعترضَ طغيانَ الطاغيةِ هذا ،
صيَّرهُ زنديقا مُهرطِقا خارجا عن الملة ، وفي الإعلامِ حرَقه ، وهي لعبتهم كما برسمتكَ لعِبتَ .
أقولُ: ثم افتعلَ أسبابا ؛ ليتخلصَ من المعترضِ ، ثمَّ شنقَهُ .
استعبدهم فصدقوه ؛ فسرق مالهم ، وزنى بهم ، ولاطَهم
ما تركَ أحدا: نساءهم ، وابنتهم ، وولدهم.
لقبرهِ عبدوا ، ومسحوا ترابَه ، وعليه سجدوا ، وبلمسه تبركوا.
ثم عند قبرهِ رقصوا وغنوا وبهِ تاجروا.
هذه المشكلة الدائمة : تعبيد البشر للبشر

قد لا يكونُ التلفيقُ دينيا
قد يكون التلفيق سياسيا ، واقتصاديا واجتماعيا وفرديا وعلميا

وطاغيةُ العلمِ :
ذاك الذي بالعلمِ عبدَّهم
كيف بالعلمِ أضلهم ؛
عبثَ بنتائجِ العلمِ أو بتفسيراتهِ وربُما بالاثنين معا.
ألزمهم وأجبرهم بتفسيراته
حتى لو لفَّقَها ،
ثمَّ بدعوى العلمِ ألحدَهم
هذا هو الإنسان إذا طغى .
جُرْمُهُ : جعل العلمَ كالسياسة. فصار بالعلمِ طاغوتا .
كما تفعلُ " ناسا " أقمارٌ في الفضاء ، وعلى البشرِ أقمارا !

خذْ مثالا آخرَ: انظر إلى تبرير البشر للتوعيةِ بحقوق القطط البرية السبعة:
من وسائلِ توعيتهم : أنْ تمشيَ مشيها ، مشي القطط!. بالشعارِ : (كات ووك) Cat Walk
لماذا تحيوْن : لتعرفَ حقُّها وحقوقها
الغريبُ : حررَّ الأسدَ ،
والمُترَّفهُ بالإنسانِ افترسَه
هل لتوعيتي وعيتَ ؟
وَضعَ الإنسانَ البريءَ كالشيخ والعالم والطبيب وغيرهم في القفص ،
وأخرجَ القططَ السبعة .
عساكَ لحقوقها حقّقتَ ؟!
هراءٌ في هراء ! .
ألحقيقةِ البشر رأيتَ ؟!
لمَ يا فنانُ عن هذا ما نفختَ ؟!
هل أرضاكَ بِمشْيِ تحيونتَ !

فعلا ، رسمةٌ خطيرة جدا ؛ مليئة بالأفكار والمفاهيم
وإن بدتْ بسيطةً في الشكل والتصميم
فيها تشويه عظيم . للحقائقِ يا فنانُ قلبتَ !.

كيف يا فنانُ ، صِرتَ بمنع ميكنةِ المرأة ، آلةً برسمكَ ميكنتَ !
حيرني الكلام الجانبي في الآطارينِ الذي أحاطَ بالمتكلمينْ
معذرة: خشيتُ أن يكونَ قصدهُ : القرآنَ والسنة !
فهذهِ مصيبةٌ
مصيبةٌ إعلامية جديدة ، الخطأُ صوابٌ ، وللصوابِ خَطَّأْتَ
بطلبِ الحقِ ، للحقِ ضيعتَ
ما هذا الذي نحن فيه ؟!

الحربُ على الله ،
حربٌ خاسرة .
والحرب على الإسلام ، حربٌ فاشلة ؛ " ستغلبون " .
يا فنانُ : من الذي يغلبُ الله . هل أنتَ ممن يحاربُ اللهَ ودينَهُ .
في زمنِ مشي القططِ السبعة ، أيها المحاربُ للإسلام ، بالترفيهِ أكثرتَ !

أخبرني يا فنان
كيف تُحفظُ المعلوماتُ في الآر إن أي RNA
كيف المعلومات تُحوَّلُ في الدماغ ؟
كيف المعلومةُ تصنع فيه وتخلق ؟ كيف في الذاكرةِ تتكود ؟
كيف لما يحفظُ معلومات ؟
من يستطيعُ فِعلَ هذا ؟
أقرودُ دارون يا فنان ؟!

والله إنه لعجبٌ
أنتَ فنانٌ ورسام وصاحبُ فكرٍ مؤدلج
وعالمٌ ، وطبيب ، ومهندس ، وفلكي ، وكيمائي ، وأديب ، وشاعر

كيف لم ترَ نفسك أنك تخدعني ،
أعقلكَ منقلبُ لتقلبني !. لا تظنني آلةً تلعبُ بي ؛
لأنني أعرف عبثَ المعاييرِ ، الذي به عبثتَ .

تأملْ معيَ لتفهمني : حينما يصحو الإنسان عند البعث
جميع المعلومات التي في الدماغ والصدر وغيرهما
تُرْجَعُ من لا شيء
من مادة غير موجودة إلا التي يبعثُ منها وهي: عَجْم الذنب (عظمه المغروز في مؤخر العجز).
اسمعني: إنسان مضى عليه تحت التراب مئات السنين ، وصار ترابا ،
بل حتى لو نثرتَ التراب وفرقتهُ
معلوماته محفوظة
أين معلوماته حُفِظت ؟
وكيف حُفِظت
من أرجعها ؟
هل أنت متفهمٌ ،
متصورٌ عما أتحدث ؟!
كيف هذا الإنسان عند البعثِ ، عرفَ نفسه ؟
ليتك تفهمني
هل أفهمتكَ فهمي ؟

محتوى المعلومات
المعلوماتُ التي في ذاكرةٍ تالفةٍ معدومةٍ، رجعَتْ
انتبه : قصدتُ المحتوى
الذي في داخل شريط بروتين RNA
من أرجعه ؟

لا أتكلم عن إعادة الخلق (البعث)
ليس حديثي عنه
أينَ أنا ، وأينَ أنتَ !

افهمني:
حفظُ سجلات قراءتك للقرآن
أفعالك ، صلاتك ، ألفاظك
أرجوك : أنا لا أتكلم عن هذا ، لا أتكلم عن إحصاء الأعمال .
أتكلمُ كيف في يوم القيامة عرفتَ نفسك .
أنا أتكلمُ عن هذا . ذاكرتكَ عدمٌ ، كيف ما في الذاكرة استرجعتهُ ؟

ربما ستقولُ : أنني مخرفٌ بأساطير الأولين
وهل ستظنني سأصدقُ نفخك !
ليس الخلقُ والكون بصحاريهِ وغاباته وطيوره وأسماكهِ وأنهارهِ وجباله وأرضه وسمائه وإنسانه
بُنِي وفْقَ تصورات عقلك ؛ لتؤسطرَهُ .

عفوا
سواءٌ أنتَ رفضتَ أم قبلتَ
لا معنى له ولا قيمةَ ولا يؤثر شيئا في جناحي الطير
ولا يؤثر في زعانف السمك
ولن يغيرَ مدارَ القمر
والشمس ، وزُحل

كيف كان مرجعكَ دارون ! كيف صدَّقتَ دكنز !
تحدَّثَ دكنز مرةً مع أفريقي أسود
انتبه: ليس ثمةَ عيبٍ في اللون الأسود والأبيض والأخضر والأحمر والأصفر
لا عيبَ في عينيك حينما ترى اللونَ . العيبُ أن تُلْبِسَ لونا بشريا ، فهمًا عنصريا
أقول ، قال له: أجدادنا قرود
كأنه قال له : أنتَ قردٌ !

دعكَ من هذا
أأنت متصورٌ عما اتحدث ؟

ليس كلامي عن النشور والبعث يوم القيامة
هذا انتهينا منه منذو زمنٍ طويل
لأنه عليك ألا تسأل عن البعث
بل تسأل : كيف بلذةٍ تخلقتَ .
شهودٌ بأنفسهم : شهدوا كيف نُطِفتَ
من أدوعكَ تسعة أشهر
من ثلاثة أظلمةٍ كيف خرجتَ
بطن ورحم متشيم من أميشكَ
من هناك أطعمكَ ؟
ثم مهدَّ خروجك ، فمن أخرجكَ ، بلْ من أنبتكَ ؟
وبالحليب له مصصتَ ، من صنعهُ ؟!. أقردة دارون !. يا صاحبي كيف تقردَّتَ !
العجيب أنك في بطنكَ على المص دُرِبت وتهَيأتَ
والأعجبُ والأغربُ : أميٌّ في مكة بهذا أخبرك
هل الأعجمي أخبره أم هو ألفهُ أم إنكَ عليه افتريتَ
دعكَ من هذا

أنا أكلمك عن الدِاتا ، عن المعلومات
ما رأته العينان ، وما سمعته الأذنان
وما فعلته سائر الحواس
بل ما حاك في صدرك وأظهرهُ فعلك ولسانك
السؤال : يا أيها العالمُ والمهندس والطبيب والفيزيائي والفلكي الملحدُ
ويا فنان الألوان
كيف لهذا ، يوم القيامة عرفتهُ وتذكرتهُ وما كذبته ؟

تصوَّرْ هاردسكًا كمبيوتريا
خذهُ ، واحرِقهُ وصيرهُ رمادا وترابا واسحقه
هل يستطيعُ أعظمُ مخترقٍ للمعلومات ، أنْ يرجعَ المعلوماتِ المحفوظة
والتي مكان ذاكرتها ليس تالفا ، بل مسحوقا

ما رأيك يا صاحبَ الألوان
عسايَ وضحتُ فكرتي ؟

وأنت تقرؤني
سبعة مليار من البشر وأكثر
كل واحد منهم ، مختلف وفي حال مختلف ومكان مختلف
طائر مختلف
وحوت مختلف
وهواء مختلف
كل شيء مختلف ، كلُ قطعة في السماء تختلف ! كم لوحة في السماء تختلف !
بل المختلف ، من آنٍ إلى آن أيضا يختلف
ومليارات مضوا ، وسيجيء غيرهم . من يديرُ هذا ؟. بيتكَ في سنين قصيرة انهدمَ
والكون لم ينهدمُ !
تأملْ الليلَ والنهارَ ، وتأمل الزمانَ والمكان
أليس النهار والليلُ
هو مكان الشمس والأرض والقمر.
أوَ ليسَ الليل والنهار ينبعُ من الأرض والقمر والشمس
أليست هذه أمكنة للزمنِ . نحتوهما بكلمةِ الزمكان . لكنَّ كلها مكانُ. الزمانُ انبثقَ من مكان.

يتكلم أفريقيٌّ أسود في وضح النهار
مع غربيٍ أبيضٍ في ظلام الليل
في طرفين من الأرض ، عند الأفريقي نهارٌ ، وعند الأبيض ليلٌ
كلامهما في زمانين مختلفين ،
كيف تكلما في زمانين مختلفينِ ؟
وحديثهما في " الآنِ " نفسه
الجوابُ: زمنُ كل منهما : مكانه في الأرض عن الشمس والقمر .
قبلُ وبعدُ زمنٌ . أصغرُ وأكبر زمن أيضا. وغيرها كثير . التفكر في الزمن عجيب ونافع جدا
حتى سرعةَ الضوء التي تقيس الزمن
هو انتقال الضوء من مكان إلى مكان

وحدة سرعة الضوء لا تقيس الزمن فقط
إنما تقيسُ بعدَ المكانِ عن المكان
فارتدَ الزمنُ مكانا

الحديثُ معك ممتع يا فنان
الفرقُ بينكَ وبيني
عالمك لوحة صغيرة
وعالمي
الكون كله وأنا معه في دورانِ

ما مشكلتك مع الملتحي ؟ لمَ ضايقك لبسُ العباءة ؟
لم أقصدْ : العباءةَ التي بحاجةٍ إلى عباءة

أليسَ هذا ديننا
دينُ الرب العظيم الذي جمَّل الكون ، وأعطاكَ العين لترى اللون.
أألربُ ظلمكَ !
هل أهانكَ
هل سلبَ حقوقك
وضيعَ حقَّكَ
كأنكَ قلتَ : شريعته ظالمة
غير إنسانية
بدائية
وحشية
رجعية
في زمن الليبرالية والعلمانية والإمبريالية العالمية الاستعمارية
ما عاد الاستعمارُ للأرضِ ، بل الاستعمار للأفكار العقلية
عِبتَ العباءةَ ، وأثنيتَ على البكيني.
أنتَ مُحتَلٌ .
أنا بهذا لكَ نفختَ

فتحتُ قلبي وعقلي وروحي للإسلام ليحتلني .
فليس الإسلامُ معيارًا بشريا ؛
الإسلامُ دينٌ من ربي

هذا يا فنانُ ، لا ينقضِ منه عجبي
لا ثقبَ في الكون ، كلهِ
أفي شريعتهِ ثقبٌ ؟! عاوِدِ النظرَ كرتينِ
كيف بعقلكِ هذا عقلتهُ واعتقدته ؟! من صنعَ عقلك ؟
حتى أنه أقدركَ بعقلك الذي أعطاكهُ
أن تنكرَ من خلقك ، أن تنكرهُ . انظرْ إلى أي مدى أعطاكَ حقك ؟! ورحمةً منه حذَّركَ ألا تفعل

فكيف يا فنانُ
بالنفخ عبِثتَ ! من خدعَك ،
كيف بنفسك خدعتَ.

الإيمانُ صوتٌ فطريٌ يناديك ، لكنكَ ما أجبته
ثم جحدته . وبالإلحادِ عليه ناديتَ ودعوتَ.
أرأيتَ مما لم ينقضِ منه عجبي ، مما تعجبته !

نرجعُ إلى الرسمةِ
امرأةٌ ببوقِ رجلٍ منفوخة
فبماذا أنت يا فنانُ نفختَ

اهدأ قليلا ، وتأملْ ،
ولا تغضبْ ، وترفقْ
ولا تشتكِ
ادرسْ وجربْ واقرأ وتفكرْ .

نفْخُ الملحدِ مقبولٌ
ولنفخِ المؤمنِ رفضتَ
وآسفا عليك يا فنانُ بما نفختَ

وأخيرًا :
كيف يا فنانُ للمرأةِ أهنتَ ،
جعلتَها مُرتدِدةً ! كأنها لا اختيار لها ،
هي اختارتْ دينَ ربِها ، فلماذا عِبتَها !.
وهل علينا أن نختارَ ما اخترتَ
الفنانُ رقيقٌ ، فكيفَ برسمكَ أهنتَ
اقتراحٌ: اقرأ القرآن بعقلٍ وقلبٍ وتدبر ،
سؤال: متى آخرُ مرةٍ للقرآنِ قرأتَ ؟

انتهى